

الكتمان في سورة البقرة - صورته، وعواقبه -

محمد بن عبد العزيز المسند*

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في 1433/12/25 هـ؛ وقبل للنشر في 1434/01/26 هـ)

المستخلص: يُعنى البحث ببيان صور الكتمان وعواقبه، كما جاءت في سورة البقرة. ومن أهداف البحث: تبيان معنى الكتمان، والفرق بينه وبين ألفاظ أخرى تتقاطع معه: كالإخفاء، والإسرار، والإكنان، وما يقابلها من ألفاظ. وبيان صور الكتمان وعواقبه في الدنيا والآخرة. ومنهج البحث: الاستقرائي التحليلي. ومن أهم النتائج: خطورة الكتمان، وأنه مهما كُتم من شيء، فإن الله يعلمه. وأن كتمان الحق من أعظم أسباب كفر كثير من الأمم وأصحاب المذاهب والنحل، وتكذيبهم، وضلالهم، في القديم والحديث. وأن للكتمان عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة، وهي تتنوع بتنوع صور الكتمان وخطره. ومن أهم التوصيات: دعوة الباحثين وطلاب العلم في جميع التخصصات إلى العناية بموضوع الكتمان، وإعطائه حقه من البحث والتقصي، من جميع جوانبه. والوصية بتدبر هذه السورة، لا سيما ما يتعلق بموضوع الكتمان، للقيام بالواجب تجاه بيان الحق، والإعانة على إظهاره، والحذر من كتمان.

الكلمات المفتاحية: معنى الكتمان، صور الكتمان، عواقب الكتمان.

Concealment in Surat Al-Baqarah: Forms and Consequences

Mohammed Abdulaziz Al - Missned*

King Saud University

(Received 10/11/2012; accepted for publication 10/12/2012.)

Abstract: This research deals with issue of concealment in terms of forms and consequences, with particular reference to Surat Al-Baqarah. It aims to show the meaning of concealment, the difference between concealment and its synonyms, such as hiding, keeping something secret and keeping something quiet, etc. It also shows the forms of concealment and its consequences in this world and the Hereafter. The research adopts an analytical inductive approach. The most important findings of the research are: concealment of the truth has dangerous implications; Allah knows whatever one conceals; the concealment of the truth is a great cause of disbelief, aberration among several communities and sects, present and past; the consequences of concealing the truth vary according to the form and degree of concealment. Those among researchers and students of religious studies that are concerned with the truth, and hence its concealment should give special attention to the issue of truth concealment comprehensively. They should reflect on the issue of concealment in the Surah in question so that they can do their duty towards revealing the truth, promoting it and warning against concealing it.

Keywords: concealment of the truth; consequences of concealing the truth; forms of concealment.

(* Associate Professor, Department of Quranic Studies,

College of Education, King Saud University

Riyadh, Saudi Arabia, p.o box: 29459, Postal Code: 11457

(*) أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية،

كلية التربية، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (29459)، الرمز (11457)

البريد الإلكتروني: malmosned@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ سور البقرة من أجلّ سور القرآن الكريم، وقد ورد في فضلها جملة من الأحاديث والآثار، وقد اشتملت على عدد من الموضوعات، نبّه على جملة منها كثير من الباحثين، كلٌ بحسب اجتهاده ونظره، وإنّ ممّا لفت انتباهي عند تأملي لهذه السورة، عنايتها بموضوع الكتان في مواضع متعددة من آياتها، حيث ورد لفظ الكتان ومشتقاته في هذه السورة في عشرة مواضع، كما وردت في السورة ألفاظ أخرى مقاربة لمعنى الكتان، وهي: الإسرار، والإكنان، والإخفاء.

ولمّا كان الأمر كذلك رأيت أن أقوم بهذه الدراسة الموضوعية لتسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال محورين رئيسيين: أحدهما: بيان صور الكتان في السورة. والثاني: بيان عواقبه في الدنيا والآخرة. وقد سلكت في ذلك منهج الاستقراء والتتبّع للفظ الكتان، وصوره، وعواقبه، في السورة.

وقد تكونت هذه الدراسة من الأسئلة التالية:

- ما معنى الكتان؟ وما علاقته بألفاظ تقاربه في المعنى كالإسرار، والإكنان، والإخفاء؟
- ما سرّ العناية بموضوع الكتان في سورة البقرة؟

• ما صور الكتان في السورة؟

• ما عواقب الكتان في الدنيا والآخرة؟

وتأتي أهمية هذا الموضوع لما يلي:

1 - تعلّق الموضوع بهذه السورة العظيمة - سورة البقرة - كونها أوّل سور القرآن بعد الفاتحة حسب ترتيب المصحف، وهي أوّل السور نزولاً في العهد المدني.

2 - خطورة الكتان - كتمان الحق - وسوء عاقبته على الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة. ومن تأمل أسباب ضلال كثير من الفرق في القديم والحديث؛ وجد أنّ من أهم الأسباب: كتمان الحقّ بمختلف صوره وأنواعه، وحجبه عن الوصول إلى الناس. ولهذا بعث الله الرسل لإظهار الحقّ، وكشفه للناس.

3 - عدم وجود دراسة مستقلة تُعنى بهذا الموضوع، مع أهميّته، وعناية السورة به. فالبحث يهدف إلى تجلية معنى الكتان، والفرق بينه وبين ما يقاربه من الألفاظ، ثم بيان صوره وعواقبه في الدنيا والآخرة..

وقد قسّمت البحث إلى مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. فالتمهيد قسّمته إلى مطلبين: المطلب الأوّل عرّفت فيه لفظ الكتان، مع المقارنة بينه وبين الألفاظ المقاربة له ممّا ورد في السورة وغيرها، كالإخفاء والإسرار والإكنان، وما يضادّ هذه الألفاظ كالإعلان والإظهار

والإبداء. والمطلب الثاني ذكرت فيه سر اهتمام السورة بموضوع الكتمان. وأما المباحث الثلاثة فقد خصّصت الأول منها لصور الكتمان عند أهل الكتاب. والثاني لصور الكتمان عند المنافقين. والثالث لصور أخرى من الكتمان في السورة غير ما ذكر لأهل الكتاب والمنافقين، وأتبع كل صورة بعواقبها حسب ما ذكر في السورة.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات. هذا؛ وأسأل الله الإعانة والتوفيق.

التمهيد

المطلب الأول: تعريف الكتمان:

قال ابن منظور رحمته الله: «الكِتْمَانُ: نَقِيضُ الْإِعْلَانِ: كَتَمَ الشَّيْءَ يَكْتُمُهُ كِتْمًا وَكِتْمَانًا وَاكْتَتَمَهُ وَكَتَمَهُ»⁽¹⁾. وقال الفراهيدي رحمته الله: «وَالْكِتْمَانُ: نَقِيضُ الْإِعْلَانِ»⁽²⁾. هذا ما ذهب إليه هذان العلمان؛ أنّ الكتمان نقيض الإعلان. وهذا منهما على سبيل المقاربة، وإلا فإنّ الذي في كتاب الله ﷻ: مقابلة الكتمان بالإبداء كما في قوله - تعالى - في هذه السورة: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 33)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (النور: 29)⁽³⁾، كما جاءت مقابلته بالإخراج

كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 72)، وبالجهر كما في قوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (الأنبياء: 110)، وبالتبيين كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ (البقرة: 159)، وقوله: ﴿لَتُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: 187). لكن لم يرد الإعلان في مقابلة الكتمان في كتاب الله ألبتة.. وإنّما جاء نقيض الأسرار في أكثر المواضع، كما جاء نقيض الإخفاء في موضعين فقط، ونقيض الإكتمان في موضعين أيضاً⁽⁴⁾.

وقال الراغب في المفردات: «الكتمان: ستر الحديث»⁽⁵⁾، وفيه قصور؛ فإنّ الكتمان أعمّ من ستر الحديث، فيدخل فيه ستر النية والطوية من كبر وحسد وما شابه ذلك، وتغيير الشيء وإزالته كما سيأتي تفصيله، بإذن الله، تعالى. ولذا قال الألويسي رحمته الله في تفسيره: «والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره، وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر موضعه. واليهود - قاتلهم الله تعالى - ارتكبوا كلا الأمرين»⁽⁶⁾.

= (99)، والثاني في سورة النور الآية (29).

(4) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد

عبد الباقي، مادة (علن).

(5) المفردات في غريب القرآن ص (428).

(6) روح المعاني (27/2).

(1) لسان العرب (12/506).

(2) كتاب العين (5/343).

(3) وردت هذه الآية في موضعين: أحدهما في سورة المائدة الآية =

ويؤيد ذلك كله: ذكر المنافقين في السورتين، ففي سورة البقرة - وهي من أوائل ما نزل في المدينة - جاء ذكر المنافقين الذين حاولوا كتم الحق في أوائله قبل ظهوره، ولم يكن لهم ظهور واضح آنذاك. وفي سورة آل عمران لما بدا شأن المنافقين بالظهور بظهور دين الإسلام؛ وظهر منهم ما ظهر من النفاق كما أخبر الله عنهم في السورة؛ ذكر الإخفاء، فقال: ﴿تُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكُمْ﴾ (آل عمران: 154). وإنما ذكر الإبداء هنا في مقابل الإخفاء، ولم يذكر الإعلان؛ لأن النفاق كان في بداية ظهوره قبل أن يقوى، ويستحكم الاستحكام التام، والله أعلم.

وقد جاء لفظ الإسرار في السورة كما في قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة: 77)، وهو في معنى الكتان، والفرق بينها أن لفظ الإسرار يتعلّق بالقول كما في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (الرعد: 10)، وقوله: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ (الملك: 13)، وقوله: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْبَاسَ وَأَخْفَى﴾ (طه: 7). ويأتي أيضاً متعلّقاً بالفعل - الإنفاق على وجه الخصوص - كما في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (البقرة: 274)، وقوله: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (الرعد: 22). أمّا الكتان فهو متعلّق بأمر معنوي، وهو تعمد إخفاء الحق، والتعمية عليه، كما سيأتي بيانه في هذا البحث، بإذن الله.. كما جاء لفظ الإكنان في السورة في

وقد فسّر بعض أهل اللغة الكتان بالإخفاء⁽⁷⁾، والفرق بين الكتان والإخفاء؛ أنّ الكتان يكون في أوّل الأمر قبل الظهور والاستعلان، ولذا قابله بالإبداء والإخراج والتبيين. أمّا الإخفاء فيكون بعد الظهور، ولذا قابله بالإعلان. والإبداء كذلك من باب أولى⁽⁸⁾. ولعلّ هذا هو السرّ في اهتمام سورة البقرة بموضوع الكتان، واهتمام سورة آل عمران بموضوع الإخفاء؛ فإنّ سورة البقرة جاء الحديث فيها عن بني إسرائيل الذين هم اليهود، واستغرق ذلك أكثر من نصف السورة، وهم قد حاولوا كتم الحق قبل ظهوره واستعلانه. أمّا سورة آل عمران، فجاء الحديث فيها عن النصارى، وقد حاولوا إخفاء الحق بعد ظهوره، وفشوّه حيث وصل إلى أطراف الجزيرة العربية⁽⁹⁾. أمّا ذكر الإخفاء في آخر سورة البقرة، فلعلّ ذلك كان تمهيداً للحديث عنه في السورة الموالية، وهي سورة آل عمران حيث ذكر الله في أولها أنّه - سبحانه -: ﴿لَا تَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: 5)، وهو ما يُعرف بعلم مناسبات السور⁽¹⁰⁾.

(7) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 157)، مادة (كتم).

(8) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص (304).

(9) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (1/ 261)، وأسرار ترتيب القرآن، للسيوطي ص (82).

(10) ينظر في بيان هذا العلم: البرهان في علوم القرآن (1/ 37، 38).

المشركون: الملائكة، وعيسى، وعزير، يُعبدون من دون الله! فقال: لو كان هؤلاء الذين يُعبدون آلهة ما وردوها. قال: فنزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُتْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: 101): عيسى، وعزير، والملائكة⁽¹²⁾.

2 - أنه لم يرد إلا بالصيغة الفعلية دون الاسمية، فلم يرد بصيغة «الكتم» أو «الكتمان»، وذلك لما تفيده الجملة الفعلية من التجدد والحدوث، وهذا يؤيد ما سبق من تعلق الكتمان بأهل الكتاب في غالب وروده في آيات القرآن وأذنانهم من المنافقين الذين لا يفتؤون يكتمون الحق، ويخفونه في كل عصر وزمان، أو يكتمون كفرهم ونفاقهم، إذ لا بقاء لهم - دون الإيثار - إلا بذلك.

قال ابن عاشور رحمته الله: «وعبر في (يكتمون) بالفعل المضارع؛ للدلالة على أنهم في الحال كاتمون للبيئات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السامع أن المعني به قوم مضوا، مع أن المقصود إقامة الحجّة على الحاضرين»⁽¹³⁾.

3 - أنه لم يرد إلا في معرض الذم والتحذير في الأعم الأغلب⁽¹⁴⁾، ولم يرد في معرض المدح والثناء البتة.

(12) أخرج هذا الأثر الحاكم في مستدركه (416/2)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(13) التحرير والتنوير (1/464).

(14) في سورة غافر قال - تعالى -: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ (غافر: 28) وهذا على سبيل الخبر، وليس الشناء، =

قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ (البقرة: 235)، وهو بمعنى الكتمان، لكن الفرق بينهما أن الإكتمان متعلق بما في الضمير⁽¹¹⁾، فلا يطلع عليه أحد غير صاحبه إلا الله، ولذا جاء نقيض الإعلان في كتاب الله، أما الكتمان فهو أعم من ذلك، فيشمل ما أكنه الإنسان في نفسه وما قد يطلع عليه غيره بالتواطؤ ونحو ذلك، كما فعل أحبار أهل الكتاب بتواطئهم على كتمان صفات نبينا محمد صلوات الله عليه.

والمأمل لورود لفظ الكتمان في السورة وغيرها يلحظ ما يلي:

1 - أن لفظ الكتمان لم يرد إلا في السور المدنية، سوى موضع واحد فقط، ورد في سورة مكية، وهو قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ (الأنبياء: 110). وهذا يؤيد ما ذكرته سابقاً من علاقة الكتمان بأهل الكتاب - اليهود على وجه الخصوص - والمنافقين في أول العهد المدني، وإنما ورد في سورة الأنبياء - وهي مكية - لمناسبة السياق، حيث ورد فيه الإشارة إلى أمر يتعلق بأهل الكتاب، وهو قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ (الأنبياء: 98)، فقد روي من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾، قال

(11) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي (282/5).

المبحث الأول: صور الكتان عند أهل الكتاب

المطلب الأول: كتان الحق:

قال - تعالى - عن بني إسرائيل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 42). هذه صورة من صور الكتان عند أهل الكتاب، لاسيما اليهود، وهي من أقبح صور الكتان، ومن أبرز أساليبهم في مواجهة الحق، وقد تنوعت صور كتانهم للحق، فمن ذلك:

• كتم صفة نبينا محمد ﷺ التي يجدونها عندهم في التوراة، قال - تعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: 79). أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس ؓ قال: «نزلت في أحبار يهود؛ وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل العينين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه؛ فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا: نجده طويلاً أزرق سبط الشعر»⁽¹⁵⁾. ورؤي مثل ذلك عن عثمان ؓ⁽¹⁶⁾.

• ومن كتمهم الحق: ما أخرجه الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس ؓ في قوله - تعالى -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة: 44)، قال: «نزلت في

المطلب الثاني: سر الاهتمام بموضوع الكتان في سورة البقرة:

إنَّ من المعلوم أنَّ سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة النبوية، وقد جاء الخطاب في أولها موجهاً إلى الملائكة، ومنهم إبليس قبل الجحود والعصيان، وما حصل منهم من الكتان، مما سيأتي بيانه، ثم جاء الخطاب في مواضع كثيرة منها موجهاً إلى اليهود وأذناهم من المنافقين المندسين في الصف المسلم، أو متحدثاً عنهم، وإنَّ من أهم القواسم المشتركة بين اليهود والمنافقين - لاسيما في أول العهد المدني - الكتان. فاليهود حاولوا كتم الحق، وكتم نبوة نبينا محمد ﷺ. والمنافقون حاولوا كتم كفرهم وإظهار الإيمان، إضافة إلى بعض صور الكتان الأخرى المذمومة التي تحدث في المجتمع المسلم، والتي لها عواقب وخيمة على المجتمع المسلم الناشئ ككتمان الشهادة، وكتمان النساء ما خلق الله في أرحامهن، فلا جرم أن اعتنت السورة بهذا الموضوع في أكثر من موضع، والله إنما يقص علينا قصص بني إسرائيل وغيرهم لتتعظ ونعتبر بها، ونتجنب ما وقعوا فيه من الانحراف والضلال. والله تعالى أعلم.

= وإنا أئني عليه لما أظهر إيمانه بهذه المقولة التي قالها وما بعدها

في الآية التي تليها: ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ فِي الْأَرْضِ مِمَّنْ

يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ (غافر: 29).

(15) لباب النقول ص (11).

(16) ينظر: جامع البيان (423/1).

يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمر بك به هذا الرجل - يعنون محمداً -، فإن أمره حق.. فكانوا يأمرون الناس بذلك، ولا يفعلونه»⁽¹⁷⁾. وظاهر أنهم كانوا يكتمون ذلك عن بني قومهم من اليهود.

• ومن ذلك أيضاً: كتمهم القبلة، وكان ذلك حين أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام بعد أن كان يتوجه بالصلاة إلى بيت المقدس، فتكلم اليهود في ذلك، فأنزل الله قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ﴾ (البقرة: 142)، إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146). قال الإمام الطبري رحمه الله: «وقوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ - وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله ﷺ إليها نبيه محمداً ﷺ يقول: فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها، فكتمتها اليهود والنصارى، فوجه بعضهم شرقاً وبعضهم بيت المقدس، ورفضوا ما أمرهم الله به، وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فأطلع الله ﷺ نبيه محمداً ﷺ وأمته على خيانتهم الله - تبارك وتعالى -، وخيانتهم عبادته، وكتمانهم ذلك، وأخبر أنهم يفعلون ما

يفعلون من ذلك على علم منهم بأن الحق غيره، وأن الواجب عليهم من الله - جل ثناؤه - خلافه، فقال: ليكتُمون الحق وهم يعلمون أن ليس لهم كتمانها، فيتعمدون معصية الله - تبارك وتعالى -»⁽¹⁸⁾. ثم ساق بعض الآثار في ذلك.

وقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا الحق ولا يكتُموا، لكنهم لم يفعلوا، كما قال - سبحانه -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187). وقد سلك هذا المسلك كثير من أهل الأهواء والبدع من المنتسبين إلى الإسلام، ومن أساليبهم في ذلك: بتر النصوص، وإخفاء جزء منها، فينقل أحدهم قولاً لأحد سلف الأمة مبتوراً من سياقه، ليستدل به على مذهبه الباطل، فينخدع بذلك بعض العامة الذين لا علم لهم بأقوال السلف، وليس لديهم القدرة على الثبوت من هذه النصوص، والمقصود أن كتم الحق من أكبر الجرائم التي يرتكبها أعداء الرسل وغيرهم.

عاقبة كتمان الحق:

وقد توعّد الله من فعل ذلك بالويل، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: 79).

(18) جامع البيان (2/ 29). وينظر: فتح القدير (1/ 240).

(17) أسباب النزول، للواحدي ص (13)، ولباب النقول ص (9).

ويأخذوا ببعضها، ويضربوا به المقتول، فأحياه الله، وأخبر بالقاتل، ثم مات، فأخرج الله ما كانوا يكتمون، وذلك قوله - تعالى -: ﴿فَقَلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 73) (22). فلا يجوز للمسلم الحق أن يكتنم الشهادة، فإن فعل فهو آثم، كما قال - تعالى - في آخر السورة: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 283)، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: 282)، وقد أخرج الطبري رحمه الله بسنده عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾، قال: «كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم» (23). قال القرطبي رحمه الله: «إذا كان على الحق شهود تعين عليهم أدائها على الكفاية. فإن أداها اثنان، واجتزأ الحاكم بهما؛ سقط الفرض عن الباقيين. وإن لم يجتزئ بهما؛ تعين المجيء إليه حتى يقع الإثبات، وهذا يعلم بدعاء صاحبها، فإذا قال له: أخي حقي بأداء ما عندك لي من الشهادة. تعين ذلك عليه» (24).

وويل: كلمة تهديد ووعيد، أي: الهلاك والدمار. وقيل: المشقة من العذاب. وقيل: واد في جهنم، ورووا في ذلك حديثاً مرفوعاً، لكن لا يصح (19). والأول هو المشهور في اللغة (20)، ويدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: 27)، فلو كان ويل وادياً في جهنم لاكتفى بذكره عن ذكر النار في هذه الآية، ومما يدل لذلك - أيضاً - ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سئل عن علم فكتمه، أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) (21)، ولم يذكر ذلك الوادي المزعوم. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: كتان شهادة الحق:

كما قال الله في قصة البقرة: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 72)، وذلك أنهم كتموا القاتل الحقيقي فلم يشهدوا عليه - وكان بعضهم قد علمه -، فأمرُوا أن يذبحوا بقرة،

(19) عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»، أخرجه أحمد (11315)، والترمذي (3164)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، رقم (6148).

(20) ينظر: مفردات القرآن ص (550)، ولسان العرب (737/11).

(21) أخرجه أحمد في المسند (263/2)، برقم (7561)، وأبو داود (345/2)، برقم (3658)، وابن ماجه (97/1)، برقم (264)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (426/3)، برقم (1453). وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (272/1) أن الحديث ورد من طرائق يشد بعضها بعضاً.

(22) ينظر: جامع البيان (399/1).

(23) المصدر السابق (126/3). ومعنى الحواء: البيوت المجتمعة.

ينظر: لسان العرب (715/11)، مادة (وال)، والقاموس المحيط، للفيروز أبادي (1649/1).

(24) الجامع لأحكام القرآن (386/3).

عاقبة كتمان شهادة الحق للناس:

عاقبة ذلك: إثم القلب، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: 283)، قال السدي رحمه الله: «يعني فاجر قلبه»⁽²⁵⁾. وهذا كقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ (المائدة: 106). وفي الآية وعيد شديد، ولذا قيل: ما أوعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة حيث قال: ﴿فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾، وأراد به مسخ القلب. نعوذ بالله من ذلك⁽²⁶⁾. وإثما خص القلب بالذكر؛ لأنه محل الشهادة. وقيل: «للمبالغة، فإنه رئيس الأعضاء. وأفعاله أعظم الأفعال. وكأنه قيل: تمكّن الإثم في نفسه، وأخذ أشرف أجزائه، وفاق سائر ذنوبه»⁽²⁷⁾. وقيل: «لأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح. ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب. وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاصم الذنوب»⁽²⁸⁾. وقيل: أسند الإثم إلى القلب؛ لئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أن القلب أصل متعلقه، ومعدن اقترافه»⁽²⁹⁾. وجميع هذه الأقوال متقاربة. وثمة

وجه آخر لم أر من ذكره، وهو أن كاتم الشهادة إنما أراد بكتامها الإضرار بالمشهود له، وإبطال حقه، وهذا لا يكون إلا بنية القلب وعمله. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: كتمان شهادة الله:

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 140).

أخرج الطبري بسنده عن مجاهد رحمه الله، أن هذه الآية في قول اليهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معها؛ أنهم كانوا يهوداً أو نصارى! فقال الله لهم: لا تكتموا مني الشهادة فيهم، إن كانت عندكم فيهم.. وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين⁽³⁰⁾. قال الطبري رحمه الله: «فإن قال قائل: وأية شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط؟

قيل: الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم: ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيها بالاستئذان بستانهم، واتباع ملتهم، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا له: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ (البقرة: 111)، وقالوا له ولأصحابه: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى يَهْتَدُوا﴾ (البقرة: 135)، فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم

(25) جامع البيان (3/ 139).

(26) ينظر: معالم التنزيل (1/ 352).

(27) مدارك التنزيل ص (582).

(28) الكشاف، للزمخشري (1/ 162).

(29) روح المعاني (3/ 63).

(30) جامع البيان (1/ 624).

وكتبتهم الحق وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور»⁽³¹⁾.
والمعنى: «أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم؛
لأنهم كتبوا هذه الشهادة، وهم عالمون بها، وإننا لو
كتبنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا، فلا نكتبها.
وفيه تعريض بكتبتهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوة في
كتبهم وسائر شهاداته»⁽³²⁾.

عاقبة كتان شهادة الله:

وعاقبة ذلك الظلم: ظلم النفس وظلم الآخرين،
قال - تعالى - منكرًا على أهل الكتاب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 140). أي: لا أحد
أظلم ممن فعل ذلك، وهذا على سبيل الوعيد والترهيب،
ولذا ختم الآية بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. فهم
بكتبتهم شهادة الله التي يعلمونها في كتبهم قد ظلموا
أنفسهم أولاً بتخلفهم عن الالتحاق بركب الحق.
وظلموا غيرهم من أتباعهم الذين قد لا يعلمون بهذه
الشهادة، بصددهم عن الالتحاق بركب الحق، بدلاً من
دعوتهم إليه، فأَيُّ ظلم أعظم من هذا الظلم!. قال ابن
عاشور رحمه الله: «وقد استفيد من التقرير في قوله: ﴿قُلْ
ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أنه أعلمهم بأمر جهلته عامتهم،
وكتمته خاصتهم، ولذلك قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى خاصة الأخبار

والرهبان الذين تركوا عامة أممتهم مسترسلين على عقائد
الخطأ والغرور والضلالة، وهم ساكتون لا يغيرون
عليهم إرضاء لهم، واستجلاباً لمحبتهم، وذلك أمر إذا
طال على الأمة تَعَوُّدته، وظننت جهالتها علماً، فلم ينجع
فيها إصلاح بعد ذلك؛ لأنها ترى المصلحين قد أتوا بما لم
يأت به الأولون، فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 23)»⁽³³⁾.

المطلب الرابع: كتان ما أنزل الله من البينات والهدى:

قال - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ
الْبَيِّنَاتِ وَآهَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (البقرة: 159).

تضمنت هذه الآية الوعيد الشديد لمن يكتنم ما
أنزل الله من الآيات البينات والهدى الذي جاء به محمد
ﷺ. أخرج الطبري وغيره من طريق سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سأل معاذ بن جبل، وسعد
بن معاذ، وخارجة بن زيد، نفرًا من أحبار يهود عن
بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم
عنه، فأنزل الله - تعالى - ذكره فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَآهَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾
(البقرة: 159)»⁽³⁴⁾. قال ابن جرير رحمه الله: «وهذه الآية، وإن

(33) التحرير والتنوير (1/ 428).

(34) جامع البيان (2/ 56) (باختصار يسير).

(31) جامع البيان (1/ 624).

(32) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 74).

• الشرط الثالث: التبيين، فلا بد من تبين ما كتبه من الحق، وإظهاره، وتوضيحه للناس، حتى تبرأ الذمة. فإذا أتى الكاتب ما أنزل الله من البينات والهدى بهذه الشروط؛ تاب الله عليه، ولذا ختم الله الآية بقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 160).

عاقبة كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى:

وعاقبة ذلك: استحقاق اللعن، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ الْبَيِّنَاتِ يُكْتُمُونَ اللَّهَ بِمَا بَيْنَهُ لِنَاسٍ فِي الْكِتَابِ ۚ وَلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (البقرة: 159).

أمَّا لعنة الله فمعلومة، وأمَّا لعنة اللاعنين ففيها أقوال:

• أحدها: أن دواب الأرض تلعنهم، وما شاء الله من الخنافس والعقارب، تقول: نُمْنَعُ القَطْرَ بذنوبهم. وهو مروي عن مجاهد رحمته الله (38).

• الثاني: أنهم الملائكة والمؤمنون، وهو مروي عن قتادة (39).

• الثالث: أنهم كل ما عدا بني آدم والجن. وهو مروي عن السدي رحمته الله (40).

كانت نزلت في خاص من الناس [وهم أهل الكتاب]؛ فإنها معني بها كل كاتم علماً فرض الله - تعالى - بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار) (35). وهذا الذي أقلق الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه، فقال: «لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم! وتلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ الْبَيِّنَاتِ يُكْتُمُونَ اللَّهَ بِمَا بَيْنَهُ لِنَاسٍ فِي الْكِتَابِ ۚ وَلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾» (36). وفي رواية أخرى أنه قال: «لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إلى آخر الآية، والآية الأخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ إلى آخر الآية (آل عمران: 178)» (37).

وقد استثنى الله ﷻ من الوعيد المذكور من تاب وأناب، وأصلح، ويين. فهذه ثلاثة شروط لا بد من توافرها للنجاة من الوعيد المذكور:

• الشرط الأول: التوبة النصوح بشروطها المعروفة.

• الشرط الثاني: الإصلاح، فيصلح ما أفسده

بالكتمان بقدر استطاعته ووسعه.

(35) سبق تحريجه.

(36) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب ما جاء في الغرس ص (464)، رقم (2350)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة ص (640)، رقم (2492).

(37) ينظر: التخريج السابق، وأخرجه الطبري في تفسيره (56/2).

(38) جامع البيان (56/2).

(39) المصدر السابق.

(40) المصدر السابق.

والهوائيم ودبيب الأرض إلا بخبر للعذر قاطع، ولا خبر بذلك. وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه⁽⁴¹⁾.

هذا ما رجّحه الإمام الطبري رحمه الله لكن القرطبي رحمه الله استدرك عليه قائلاً: «قلت: قد جاء بذلك خبر رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ قال: (دواب الأرض)⁽⁴²⁾».

ثم ذكر أن إسناده حسن⁽⁴³⁾. ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء..) الحديث⁽⁴⁴⁾.

وقد رجّح الطبري رحمه الله القول الثاني، قال: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: ﴿اللَّعْنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون، لأن الله - تعالى ذكره - قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحلّ بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال - تعالى ذكره -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (البقرة: 161)، فكذاك اللعنة التي أخبر الله - تعالى ذكره - أنها حالة بالفريق الآخر: الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعدما بينه للناس، هي لعنة الله ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا، وهم كفار، وهم ﴿اللَّعْنُونَ﴾؛ لأن الفريقين جميعاً أهل كفر. وأمّا قول من قال: إنّ اللاعنين هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوائيمها، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة، ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ، فيجوز أن يقال: إنّ ذلك كذلك. وإذا كان ذلك كذلك فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إنّ الدليل من ظاهر كتاب الله موجود بخلاف قول أهل التأويل، وهو ما وصفنا، فإن كان جائزاً أن تكون البهائم وسائر خلق الله تلعن الذين يكتُمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة؛ فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عني بـ (اللاعنين) البهائم

(41) جامع البيان (2/ 56).

(42) أخرجه ابن ماجه في سننه (2/ 1334)، برقم (4021). وضعف إسناده الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص (232)، برقم (871).

(43) الجامع لأحكام القرآن (2/ 181).

(44) أخرجه أبو داود (2/ 341)، برقم (3641)، والترمذي (45/ 5)، برقم (2682)، وابن ماجه (1/ 81)، برقم (223). وصحّح إسناده الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (5/ 302)، برقم (6173).

والتلبس والتحريف والمكر.

قال الرازي رحمه الله: «إصلاح ما أفسده، مثلاً لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه، يلزمه إزالة تلك الشبهة»⁽⁴⁸⁾. وقال الألوسي رحمه الله: «وأصلحوا ما أفسدوا بالتدراك فيما يتعلق بحقوق الحق والخلق، ومن ذلك أن يصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال، وأن يزيلوا الكلام المحرّف، ويكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف»⁽⁴⁹⁾. وذهب طائفة من المفسرين إلى أن الآية محتملة للمعنيين، فلا تنافي بينهما. قال الماوردي رحمه الله: «وأصلحوا يحتمل وجهين، أحدهما: إصلاح سرائرهم وأعمالهم. والثاني: أصلحوا قومهم بإرشادهم إلى الإسلام»⁽⁵⁰⁾. وقال السمرقندي رحمه الله: «وأصلحوا أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم. ويقال معناه: وأصلحوا لمن أفسدوا من السفلة»⁽⁵¹⁾. وهذا القول هو الأظهر. والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس: كتمان ما أنزل الله من الكتاب:

قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا

فإذا كان من في السموات والأرض حتى الحيتان في جوف الماء يستغفرون للعالم المبين للناس العلم؛ فلا عجب أن يكون كاتم العلم مستحقاً للعتهم على سبيل المقابلة. والله تعالى أعلم.

ولما كان هذا الأمر عظيماً لا يقدر قدره إلا الله - تعالى -؛ فقد جعل الله لصاحبه مخرجاً قبل فوات الأوان فقال - سبحانه -: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 160). فلم يقتصر على التوبة وحدها حتى ضم إليها الإصلاح والتبيين، إذ إن جريمة الكتمان لا تكفي فيها التوبة وحدها لما ترتب عليها من الإفساد وخفاء الحق؛ فيجب الإتيان بها يضادها من الإصلاح والتبيين الذي تبرأ به الذمة.

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالإصلاح أن يصلح العبد ما بينه وبين ربه، فجعلوه لازماً، وقد تنوعت عباراتهم، فمنهم من قال: «أصلحوا أعمالهم»⁽⁴⁵⁾، ومنهم من قال: «أصلحوا السريرة»⁽⁴⁶⁾، وقال بعضهم: «وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فرط منهم»⁽⁴⁷⁾.

وذهب بعض المفسرين إلى جعله متعدياً، فيكون المراد: إصلاح ما أفسدوه في الخارج، من الإضلال

(48) مفاتيح الغيب (4/150).

(49) روح المعاني (2/28). ومثله قال أبو السعود رحمه الله في تفسيره (182/1).

(50) النكت والعيون (1/215).

(51) بحر العلوم (1/134).

(45) تفسير القرآن العظيم (1/272)، ومعالم التنزيل (1/175).

(46) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحيدي ص (141).

(47) الكشف (1/104).

فتأمل قوله: ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وقد توعدّهم الله بأربع عقوبات مؤجلة لهم يوم القيامة، وهي:

• الأولى: أنهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار: أي أنهم - بأكلهم ما أكلوا من الرشى على ذلك والجعالة، وما أخذوا عليه من الأجر - لا يأكلون إلا ما يوردهم النار ويصليهموها. قاله الطبري رحمته الله (54).

وقال ابن كثير رحمته الله في بيان المعنى: «أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتَيْمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: 10)» (55).

قال القرطبي رحمته الله: «ذكر البطون دلالة وتأكيذاً على حقيقة الأكل، إذ قد يستعمل مجازاً في مثل: أكل فلان أرضي، ونحوه. وفي ذكر البطون - أيضاً - تنبيه على جشعهم، وأثم باعوا آخرتهم بحظّهم من الطعام الذي لا خطر له ومعنى» (56).

• الثانية: أن الله لا يكلمهم يوم القيامة: أي كلاماً ينفعهم، وهو كناية عن الغضب عليهم، وعدم الرضا عنهم، كما يقول الرجل لصاحبه إذا غضب عليه: والله لا كلمتك، ونحو ذلك.

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174). والفرق بين هذا والذي قبله؛ أن هذا مقابل ثمن قليل، كما نصّت الآية، أمّا ما قبله فبغير ثمن. قال الطبري رحمته الله: «يعني - تعالى - ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد صلوات الله عليه ونبوته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، برشى كانوا أعطوها» (52). وقال ابن كثير رحمته الله مبيّناً حقيقة هذه الرشى التي كانوا يأخذونها: «..كتموا ذلك؛ لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم، فخشوا - لعنهم الله - أن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزر سير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق، وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله؛ بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة» (53).

عاقبة كتان ما أنزل الله من الكتاب:

وعاقبة ذلك في قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174).

(54) جامع البيان (2/ 94).

(55) تفسير القرآن العظيم (1/ 280).

(56) الجامع لأحكام القرآن (2/ 230).

(52) جامع البيان (2/ 94).

(53) تفسير القرآن العظيم (1/ 280).

عليهم، ولا يمدحهم، بل يعذبهم عذاباً أليماً. وهو اختيار ابن كثير⁽⁶¹⁾.

ولا مانع من حمل الآية على المعنيين، إذ لا تعارض بينهما. والله تعالى أعلم.

• الرابعة: توعدّهم بعذاب أليم، وقد سبق بيان

ذلك.

المبحث الثاني: صور الكتمان عند المنافقين

المطلب الأول: كتمان الكفر وإظهار الإيمان:

قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶²⁾ تَخَذِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... الآية (البقرة: 8 - 20).

سورة البقرة من أوائل ما نزل في المدينة، كما ذكر أهل التفسير والسير⁽⁶²⁾. وقد ذكر الله ﷻ في مطلعها أقسام الناس في المجتمع المدني الجديد، وقد كانوا في مكة

قال الطبري رحمه الله: «ولا يكلمهم بما يحبون ويستهنون، فأما بما يسوؤهم ويكرهون فإنه سيكلمهم؛ لأنه قد أخبر الله - تعالى - ذكره أنه يقول لهم - إذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ﴾ -: ﴿أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ (المؤمنون: 107 - 108)»⁽⁵⁷⁾.

وقال البغوي رحمه الله: «أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، إذا كان عليه غضبان»⁽⁵⁸⁾.

وظاهر كلام البغوي - ومن سلك مسلكه من المفسرين - أنها قولان في معنى الآية، والحقيقة أن مؤداهما واحد، فإن من غضب على شخص فإنه لا يكلمه إلا بالتوبيخ والتفريع، وهذا المسلك سلكه ابن عاشور رحمه الله فإنه قال: «وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ نفي للكلام، والمراد به لازم معناه، وهو الكناية عن الغضب، فالمراد نفي كلام التكريم، فلا ينافي قوله - تعالى -: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الحجر: 92 - 93)»⁽⁵⁹⁾.

• الثالثة: أنه لا يزكّيهم: أي: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم. قاله الطبري رحمه الله⁽⁶⁰⁾. وقيل: لا يثني

=والواحد في الوجيز ص (145).

(61) تفسير القرآن العظيم (1/280). واختاره الزخشي

(1/108)، والبيضاوي ص (451)، وابن عاشور (1/496).

(62) ينظر: تنزيل القرآن (النسوب لابن شهاب الزهري، كما بين

ذلك محققه) ص (29)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير

(1/57). وقيل: هي أول سورة نزلت في المدينة، وهو مروى

عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة. ينظر: زاد المسير،

لابن الجوزي (1/19)، وحكى الإمام ابن حجر في الفتوح

(8/160) الاتفاق عليه.

(57) جامع البيان (2/94).

(58) معالم التنزيل (1/184).

(59) التحرير والتنوير (1/496).

(60) جامع البيان (2/94). واختاره البغوي (1/184)، =

قسمين: مؤمن وكافر، فظهر قسم ثالث في المدينة، وهم المنافقون، لذا جاء وصفهم في بضع عشرة آية، بينما جاء وصف المؤمنين والكفار في آيات قليلة؛ لوضوح أمرهم وجلاته، كما في السور المكيّة.

وبظهور هذه الطائفة الخبيثة في المجتمع المدني، كان أول الحديث عن الكتان في هذه السورة. قال ابن عاشور رحمته الله: «وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم؛ كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح، سعيًا لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل»⁽⁶³⁾. هذا، ولم يكن من المهاجرين منافقون، إذ إنّ المهاجرين ليسوا بحاجة إلى النفاق، وإلا لم يتركوا ديارهم وأموالهم، ويهاجروا إلى المدينة ابتغاء مرضاة الله، وإنّما كان جلّ المنافقين من أهل المدينة. ثمّ تبعهم طائفة من اليهود؛ فسلكوا مسلكهم في النفاق للحفاظ على مصالحهم، وقد فضحهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 76).

أخرج الطبريّ بسنده من طريق الضحاك عن

ابن عباس رضي الله عنه في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ﴾... الآية، قال: «يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا»⁽⁶⁴⁾. وهذا القول مروى عن الحسن وقادة⁽⁶⁵⁾. ولذا قال بعدها: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة: 77).

عاقبة كتان الكفر وإظهار الإيمان:

وقد ذكر الله من عواقبه:

1 - أنّ المنافق لا يخدع إلا نفسه مقابل مخادعته لله وللمؤمنين، قال - تعالى -: ﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 9). والمنافق - بسلوكه هذا المسلك من المخادعة - يظنّ أنّه ينال بذلك غاية المنى والسرور، وهو إنّما يورد نفسه موارد الهلاك والثبور، ويكفي أتهم في الدرك الأسفل من النار كما أخبر الله تعالى في موضع آخر، ولهذا ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.. قال القرطبي رحمته الله: «قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ نفي وإيجاب، أي: ما تحلّ عاقبة الخدع إلا بهم. ومن كلامهم: من خدع من لا يخدع فإنّما يخدع نفسه. وهذا صحيح؛ لأنّ الخداع إنّما يكون مع من لا

(64) جامع البيان (413/1)، وينظر: لباب النقول في أسباب

النزول، للسيوطي ص (10).

(65) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (113/1).

(63) التحرير والتنوير (117/1).

يعرف البواطن، وأما من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنما يخدع نفسه. ودلّ هذا على أنّ المنافقين لم يعرفوا الله، إذ لو عرفوه لعرفوا أنّه لا يُخدع⁽⁶⁶⁾.

وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: وما يفتنون أنّ وبال خداعهم راجع عليهم، فيظنون أنّهم قد نجوا بخداعهم ونجحوا، وهم الخاسرون. وفي هذا دليل على فساد عقولهم وتصوّرتهم، وانتكاس قلوبهم عياداً بالله، تعالى.

2 - أنّ الله زادهم مرضاً على مرض قلوبهم، كما قال - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة:10). قال الطبريّ رحمته الله في معنى قوله - تعالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: «إنّما يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمّد صلّى الله عليه وآله وبما جاء به من عند الله - مرض وسقم...، والمرض الذي ذكر الله - جلّ ثناؤه - أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفنا هو شكّهم في أمر محمّد وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنّهم - كما وصفهم الله تعالى مذبذبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال: فلان يمرض في هذا الأمر، أي يضعف العزم، ولا يصحّح الرؤية فيه⁽⁶⁷⁾.

3 - توعدّهم بعذاب أليم جزاء كذبهم ونفاقهم، قال - تعالى -: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:10)، أي: مؤلم موجع، وهو النار⁽⁶⁸⁾. وقد جاء في موضع آخر أنّهم في الدرك الأسفل من النار عياداً بالله، تعالى⁽⁶⁹⁾.

المطلب الثاني: كتمان الشرّ وإظهار إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر:

قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة:204 - 206).

ففي هذه الآيات حديث عن صنف من الناس من أهل النفاق، يكتُم في نفسه من الشرّ خلاف ما يظهره من إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر، ففضحه الله، وكشف ما في خبايا نفسه. قيل: نزلت هذه الآيات في الأخنس بن شريق الثقفي جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك، فلما خرج من عنده أفسد في الأرض. وقيل: إنّها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه رضي الله عنهم الذين قتلوا

(68) ينظر: المصدر السابق (2/94)، وتفسير الجلالين ص (33).

(69) في سورة النساء، الآية رقم (145).

(66) الجامع لأحكام القرآن (1/191).

(67) جامع البيان (1/154)، (باختصار يسير).

يُهْوَأُ عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة: 8). فجَهَنَّم هي حسب المنافقين، وهم أشد الناس عذاباً فيها، إذ هم في الدنيا - لإبطانهم الكفر ومصاحبتهم للمؤمنين - قد يفلتون من عذاب الله القدري والشرعي، لكنهم لن يفلتوا من عذابه في الآخرة.

قال النسفي رحمه الله: «وإنما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر؛ لأنه آمن بالسيف في الدنيا، فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلاً»⁽⁷³⁾.

ولذا بين الله في موضع آخر أنهم ﴿فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: 145)، أي: في الطبقة الأسفل من أطباق جهنم عياداً بالله - تعالى - وهو قعرها. وقد أخرج الطبري رحمه الله من طريق خيثمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في معنى هذه الآية: «في توابيت من نار تُطبق عليهم»⁽⁷⁴⁾ أي مغلقة مقفلة.

قال البيضاوي رحمه الله: «وإنما كان كذلك؛ لأنهم أخبث الكفرة؛ إذ ضموا إلى الكفر استهزاءً بالإسلام، وخداعاً للمسلمين»⁽⁷⁵⁾.

بالرجيع⁽⁷⁰⁾ وعابوهم، فأنزل الله في ذم المنافقين، ومدح خبيثاً وأصحابه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 207). وقيل: بل ذلك عام في جميع المنافقين، وفي جميع المؤمنين. قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد، وهو الصحيح»⁽⁷¹⁾. ولا منافاة بين كل ما سبق، فالآية محتملة للجميع. والله تعالى أعلم.

عاقبة كتمان الشر وإظهار إرادة الخير والصلاح وسلامة الصدر:

عاقبة ذلك التوعد بجهنم، قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: 204 - 206)، أي: كافيه جهنم⁽⁷²⁾، ومثل هذا التعبير يأتي في القرآن في حق المنافقين، المظهرين خلاف ما يبطنون، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ (التوبة: 68)، والسياق في المنافقين، وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَهْوَأُونَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا

(70) الرجيع: ماء لهديل بين عسفان ومكة، وقد سميت الغزوة بهذا الاسم. والقصة أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان...، ص (841)، برقم (4086).

(71) تفسير القرآن العظيم (1/ 245، 246). وينظر: جامع البيان (2/ 324، 325).

(72) ينظر: معالم التنزيل (1/ 236).

(73) مدارك التنزيل (1/ 257).

(74) جامع البيان (4/ 336).

(75) أنوار التنزيل ص (271).

المبحث الثالث: صور أخرى من الكتمان

المطلب الأول: كتمان الكبير:

قال - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 30 - 33). أخرج الطبري بسنده من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز⁽⁷⁶⁾. وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، والثوري⁽⁷⁷⁾.

وذلك أن أول من سكن الأرض: الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغترى في نفسه، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد. فاطّلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه، فقال الله للملائكة الذين معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾، كما أفسدت الجن، وسفكت الدماء! وإنّا نبعثنا عليهم لذلك! فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إنّني قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واعتزازه.. إلى آخر

القصة..⁽⁷⁸⁾

فإن قيل: فإن إبليس واحد؛ فلم جمع فقال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؟ أجاب عن ذلك ابن عطية رحمته الله، فقال: «وجاء تكتمون للجماعة، والكاتم واحد في هذا القول؛ على تجوز العرب واتساعها، كما يقال لقوم قد جنى سفيه منهم: أنتم فعلتم كذا، أي منكم فاعله، وهذا مع قصد تعنيف، ومنه قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات: 4)، وإنّا ناداه منهم واحد⁽⁷⁹⁾.

وثمة جواب آخر، وهو أن قوله: ﴿تَكْتُمُونَ﴾ ليس خاصاً بإبليس وحده، بل اشتركت معه الملائكة الكرام عليهم السلام كما سيأتي بيانه في الصورة الموالية، فكل كتم ما أهمّه وأقلقه. والله تعالى أعلم.

عاقبة كتمان الكبير:

وعاقبة ذلك: الطرد والإبعاد عن رحمة الله وما يتبع ذلك من الذلّة والمهانة واستحقاق دخول النار، كما حصل لإبليس - عليه لعنة الله -، وهو ممن قصدهم الله في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ كما سبق بيانه قريباً. وقد أجمل الله قصته في هذه السورة، وفصلها في سور أخرى، كسورة الأعراف، والحجر، وص، فقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا

(78) ذكرها بتمامها الطبري في تفسيره (1/232)، وهي طويلة.

(79) المحرر الوجيز (1/9).

(76) جامع البيان (1/258).

(77) المصدر السابق.

لِلْمَلٰٓئِكَةِ اَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰٓسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ ﴿١٦﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلَّا تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُوْنُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا فَاخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ الصَّٰغِرِيْنَ ﴿١٨﴾ اِلَى قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ اَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءُوْمًا مَّدْحُوْرًا لِّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَّا مَلٰٓئَٔنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴾ (الأعراف: 11 - 18). وقال في سورة الحجر: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٢١﴾ وَاِنَّ عَلٰٓيْكَ اَلَلْعَنَةَ اِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ ﴾ (الحجر: 34 - 35). وقوله - تعالى -: ﴿ مَذْءُوْمًا مَّدْحُوْرًا ﴾ أي: لعيناً منفيّاً، قاله قتادة رحمه الله (80).

المطلب الثاني: كتمان الإعجاب بالنفس مع التقوى والصلاح:

وذلك في قوله - تعالى - أيضاً: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴾ (البقرة: 33) فقد قيل: إن المراد بالكتمان هنا هو كتمان الملائكة قوْلهم: لم يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه.. فقد أخرج الطبري بسنده عن الحسن وقتادة أن الله لما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها، فقالوا: ليخلق ربنا ما شاء أن يخلق، فلن يخلق خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه. فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا، ففضله عليهم فعلموا أنهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن

خيراً منه فنحن أعلم منه؛ لأننا كنا قبله، وخلقت الأمم قبله، فلما أعجبوا بعملهم؛ ابتلوا ف ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ اَلْاَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اُنۢبِئُوْنِي بِاَسْمَاءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴾ أي لا أخلق خلقاً إلا كتتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كتتم صادقين. قال: ففزع القوم إلى التوبة - وإليها يفزع كل مؤمن - فقالوا: ﴿ سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ اَلْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يٰٓاٰدَمُ اُنۢبِئْهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا اُنۢبَاَهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّيْ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴾ لقولهم: ليخلق ربنا ما شاء، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا (81). قال الألوسي رحمه الله: «ومعنى الكتم على كل حال: عدم إظهار ما في النفس لأحد ممن كان في الجمع، وليس المراد أنهم كتموا الله - تعالى - شيئاً بزعمهم، فإن ذلك لا يكون حتى من إبليس» (82).

عاقبة كتمان الإعجاب بالنفس مع التقوى والصلاح:

وعاقبة ذلك أن يظهر الله قصور علمه، وموضع جهله، كما حصل للملائكة لما أخبرهم الله بأنه جاعل في الأرض خليفة، وهو آدم عليه السلام فقالوا ما قالوا كما سبق بيانه، إعجاباً بأنفسهم، فأظهر الله قصور علمهم بقوله - سبحانه -: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ اَلْاَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اُنۢبِئُوْنِي بِاَسْمَاءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢٣﴾

(81) المصدر السابق (1/ 240).

(82) روح المعاني (1/ 228).

(80) ينظر: جامع البيان (5/ 447).

ولا يحلّ لها أن تكتمه، وهو لا يعلم متى تحلّ؛ لئلا يرتجعها. تضارّه⁽⁸⁴⁾. قال القرطبي رحمته الله: «ومعنى النهي عن الكتمان: النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقه، فإذا قالت المطلقة: حضت، وهي لم تحض؛ ذهبت بحقه من الارتجاع. وإذا قالت: لم أحض، وهي قد حاضت؛ ألزمته من النفقة ما لم يلزمه، فأصرت به. أو تقصد بكذبها في نفي الحيض ألا ترتجع حتى تنقضي العدة، ويقطع الشرع حقه. وكذلك الحامل؛ تكتم الحمل لتقطع حقه من الارتجاع»⁽⁸⁵⁾. وقوله: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيه حثّ لمن على عدم كتم الحق، والترهيب من ذلك، لأنّ المرجع في هذا إليهنّ، فلا يعلم في الغالب إلا من طريقهنّ⁽⁸⁶⁾. ولهذا قال سليمان بن يسار رحمته الله: «ولم نؤمر أن نفتح النساء، فننظر إلى فروجهنّ، ولكن وكلّ ذلك إليهنّ إذ كنّ مؤمنات»⁽⁸⁷⁾. هذا إذا لم يكن في قولهنّ ريبة، أمّا مع وجود الريبة مثل أن تدّعي ذات القروء انقضاء عدتها في شهر من يوم الطلاق؛ فلا يقبل قولها، ولا بدّ من الرجوع إلى قول الأطباء والعارفين⁽⁸⁸⁾ لاسيّما مع تطوّر الطبّ في هذا الزمن، وتطوّر أدواته.

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ (البقرة: 31 - 33). وهذه السنة جارية في كلّ من أعجب بنفسه وعلمه - مهما بلغ من الخير والصلاح -، ولم يكل العلم إلى عالمه.

المطلب الثالث: كتمان النساء ما خلق الله في أرحامهنّ:

قال - تعالى -: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: 228). وقد جاء هذا التحذير في سياق الحديث عن جوانب من نظام الأسرة في الإسلام في الخطبة والنكاح والطلاق والرجعة، ومن ذلك: ما ذكر في هذه الآية من عدة المطلقات، ثم أتبع ذلك بهذا النهي عن كتمان المرأة ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل، لتستعجل انتهاء عدتها، أو تؤخّرها حسب مقصدها.

أخرج الطبريّ بسنده عن مجاهد رحمته الله في قول الله - تعالى - ذكره: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ قال: «لا يحلّ للمطلقة أن تقول: إني حائض، وليست بحائض، ولا تقول: إني حبل، وليست بحبل، ولا تقول: لست بحبل، وهي حبل»⁽⁸⁹⁾. وأخرج بسنده عن ابن زيد رحمته الله أنّه قال: «لا يكتمن الحيض ولا الولد،

(84) المصدر السابق.

(85) الجامع لأحكام القرآن (3/107).

(86) ينظر: تفسير القرآن العظيم (1/363).

(87) الجامع لأحكام القرآن (3/107).

(88) ينظر: التحرير والتنوير (1/638).

(89) جامع البيان (2/452).

عاقبة كتان النساء ما خلق الله في أرحامهن:

وهو الحيض والحمل كما سبق، ولم يذكر الله ﷻ لهذا الكتان عقاباً شرعياً، وإنّما وكل ذلك إلى إيمان المرأة وضميرها، فقال معقّباً: ﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وهو أسلوب من أساليب الترهيب يحمل في طياته التهديد والوعيد الشديد ممّا أعدّه الله في اليوم الآخر من الحساب والعقاب. ولهذا قال القرطبي رحمه الله: «هذا وعيد عظيم شديد لتأكيد تحريم الكتان، وإيجاب لأداء الأمانة في الإخبار عن الرحم بحقيقة ما فيه. أي: فسيل المؤمنات ألا يكتمن الحق»⁽⁸⁹⁾.

وهو - أيضاً - أسلوب تربويّ راق يوقظ الضمائر الغافلة، وينبهاها إلى عاقبة المصير في الدار الآخرة.

لكنّ هذا الكتان له عواقبه الدينية والدنيوية على الزوج، وعلى المرأة، وعلى المجتمع، فأما على الزوج فبالإضرار به وإذهاب حقّه، فإذا ادّعت المطلقة أنّها حاضت، وهي لم تحض؛ ذهبت بحقه من الرجعة. وإذا ادّعت أنّها لم تحض، وهي قد حاضت؛ ألزمته من النفقة ما لم يلزمه، فأضرّت به. أو تقصد بكتانها الحيض ألا يراجعها حتى تنقضي العدة، وينقطع حقّه الشرعي في ذلك. وكذلك الحامل تكتّم الحمل لتقطع حقّه من الرجعة، وهذا يؤدّي إلى إلحاق الولد بغير أبيه في حال زواجها من غيره، ولا يخفى ما في ذلك من

المفاسد⁽⁹⁰⁾.

قال ابن عاشور رحمه الله: «وهذا يقتضي أنّ العدة لم تكن موجودة فيهم، وأمّا مع مشروعية العدة فلا يتصور كتان الحمل؛ لأنّ الحمل لا يكون إلا مع انقطاع الحيض، وإذا مضت مدة الأقراء تبين أنّ الحمل من الزوج الجديد»⁽⁹¹⁾.

قلت: هذا ممكن بأن تدّعي أنّها حاضت ثلاث حيضات في شهر مثلاً - على قول بعض الفقهاء⁽⁹²⁾ - أو أكثر، مع كتان الحمل، فبُطل حقّه في الرجوع، ثمّ تتزوّج غيره فتلحق الولد به دون أن يشعر، والله تعالى أعلم.

وأما عاقبته على المرأة؛ فلكونها أوقعت نفسها في جملة من الكبائر، وهي: ظلم الزوج، والكذب، وتعريض بضعتها للحرام بالزواج من رجل، وهي في ذمّة آخر، والبهتان بإلحاقها ولداً بغير أبيه، قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِتِنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنِ وَأَرْجُلَيْهِ﴾ (الممتحنة: 12)، وهذا وإن كان في الزنى الصريح، فهو شبيه بهذه المسألة مسألة كتان الولد.

وأما عواقبه على المجتمع فباختلاط الأنساب، وازدياد حالات الطلاق، وشيوع الكذب والبهتان في

(90) ينظر: المصدر السابق.

(91) التحرير والتنوير (1/ 637).

(92) ينظر: المغني، لابن قدامة (1/ 352).

(89) الجامع لأحكام القرآن (3/ 107).

المجتمع.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها.

ثانياً: التوصيات:

هذا ما ظهر لي من صور الكتمان وعواقبه في

سورة البقرة. والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب سورة البقرة،

والتعرف على صور الكتمان فيها، وعواقبه، أخلص إلى ما

يلي:

أولاً: أهم النتائج:

1 - خطورة الكتمان، مما استحق أن يكون محل

عناية في هذه السورة المباركة سورة البقرة.

2 - أن المرء مهما كتم في نفسه من شيء، أو كتم

شيئاً من الحق، فإن الله يعلم ذلك.

3 - أن من أسباب كفر كثير من الأمم وأصحاب

المذاهب والنحل وتكذيبهم وضلالهم، في القديم

والحديث: كتمان الحق، ولذا جاء التركيز عليه في هذه

السورة، والتنفير منه.

4 - أن الكتمان، كما يكون في أمور الاعتقاد

والتصور، ككتمان النبوات ودلائلها وجحدها؛ يكون

فيما دون ذلك من الأمور الاقتصادية والاجتماعية مما هو

موضح في هذا البحث.

5 - أن للكتمان عواقبه الوخيمة، في الدنيا

والآخرة، وهي تتنوع بتنوع صور الكتمان وخطره.

1 - موضوع الكتمان من الموضوعات المهمة

والخطيرة؛ لذا أدعو الباحثين وطلاب العلم في جميع

التخصصات إلى العناية بموضوع الكتمان، وإعطائه حقه

من البحث والتقصي، من جميع جوانبه العقدية والفقهية

والحدیثية، وكذلك السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2 - كما أوصي العلماء والقادة وأصحاب الرأي

بتدبر هذه السورة، لاسيما ما يتعلّق بموضوع الكتمان،

ليقوموا بواجبهم تجاه بيان الحق، والإعانة على إظهاره،

والحذر من كتمانهم لما يترتب على ذلك من العواقب

الوخيمة في الدنيا والآخرة كما سبق. والله تعالى أعلم،

وصلى الله على نبينا محمد.

قائمة المصادر والمراجع

أسباب النزول. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري.

ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد الله بن عمر. د.ط،

بيروت: دار الفكر، 1416هـ.

بحر العلوم. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم.

تحقيق: محمود مطرجي. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن

عبد الله. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، بيروت:

دار المعرفة، 1391هـ.

- التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. ط 1، بيروت: مؤسسة التاريخ، 1421 هـ.
- تعليلات كمال يوسف الحوت، د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- تفسير الجلالين. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد؛ والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. ط 1، القاهرة: دار الحديث، د. ت.
- سنن ابن ماجه. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.
- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي. د. ط، بيروت: دار المعرفة، 1403 هـ.
- صحيح البخاري. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. ط 1، الرياض: دار السلام، 1417 هـ.
- تنزيل القرآن. ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم. نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد. ط 2، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1980 م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. الألباني، محمد ناصر الدين. ط 3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1402 هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412 هـ.
- صحيح مسلم. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. د. ط، الرياض: مكتبة الرشد، 1422 هـ.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون. د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ضعيف سنن ابن ماجه. الألباني، محمد ناصر الدين. د. ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت.
- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. ط 12، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- العين. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. د. ط. د. م: مكتبة الهلال، د. ت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني، أحمد بن حجر. د. ط، بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي أبي الفضل محمود. د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني، محمد بن علي. ط 1، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي. ط 1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1423 هـ.
- القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ط 1، د. م: د. ن، د. ت.
- السلسلة الصحيحة. الألباني، محمد ناصر الدين. د. ط، الرياض: مكتبة المعارف، د. ت.
- الكتشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. بيروت: دار المعرفة، د. ت.
- لباب النقول في أسباب النزول. السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن

- ابن أبي بكر ابن محمد. د.ط، بيروت: دار إحياء العلوم،
د.ت.
لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري. ط1،
بيروت: دار صادر، د.ت.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل. النسفي، أبو البركات عبدالله بن
أحمد. تحقيق: يوسف بدوي. ط1، بيروت: دار الكلم
الطيب، 1419هـ.
المستدرك على الصحيحين. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله
النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1،
بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.
المسند. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد الشيباني. د.ط، القاهرة:
مؤسسة قرطبة، د.ت.
معالم التنزيل. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. تحقيق
وتخريج: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش.
ط1، الرياض: دار طيبة، 1409هـ.
معجم الفروق اللغوية. العسكري، أبو هلال. د.ط، بيروت: دار
الكتب العلمية، د.ت.
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه: محمد فؤاد عبد
الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا.
تحقيق: عبد السلام هارون. د.ط، بيروت: دار الفكر،
1399هـ.
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. ابن قدامة، أبو محمد
عبد الله بن أحمد المقدسي. ط1، بيروت: دار الفكر،
1405هـ.
مفاتيح الغيب. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ط1،
بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ.
